سمعاً وطاعةً يا رسول الله

قال عبد الله بن جحش رضي الله عنه: دعاني رسول الله ﷺ حين صلّىٰ العشاء فقال لي: «وافني مع الصبح معك سلاحك أبعثك وجهاً».

فوافيته الصبح وعليّ سيفي، وقوسي، وجعبتي، ومعي درقتي، فصلّىٰ رسول الله ﷺ الصبح بالناس، ثم انصرف، فوجدني واقفاً عند بابه، ووجدت نفراً من المهاجرين.

فدعا رسول الله ﷺ أُبيّ بن كعب رضي الله عنه فدخل عليه، فأمره فكتب كتاباً، ثم دعاني فأعطاني صحيفة من أديم خولاني.

ثم قال لي: «قد استعملتك علىٰ هؤلاء النفر، فامض، حتىٰ إذا سرتَ ليلتين، فانشر كتابي، ثم امض لما فيه».

قلت: يا رسول اللهُ أيّ ناحية؟ قال: «اسلك النجديّة».

فمضىٰ عبد الله بن جحش ومعه ثمانية نفر من المهاجرين، حتىٰ إذا سار ليلتين فتح كتاب رسول الله ﷺ، فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا، فامض حتىٰ تنزل بطن نخلة، بين مكة و الطائف، فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم، ولا تكرهنّ أحداً من أصحابك علىٰ المسير معك».

فلما قرأ عبد الله بن جحش الكتاب، قال: سمعاً وطاعة يا رسول الله.

ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلىٰ نخلة، أرصد بها قريشاً، حتى آتيه بخبر وقد نهاني أن أستكره منكم أحداً، فمن كان يريد منكم الشهادة، ويرغب بها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ.

فقالوا جميعاً: نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك ، فسِرْ علىٰ بركة الله ، فسار بهم حتىٰ جاء بطن نخلة ، ما تخلّف منهم أحد رضي الله عنهم.

ولما كان يوم أحد تقدّم عبد الله بن جحش ، وسلّم علىٰ رسول الله ﷺ ، وقال: يا رسول الله! إن هؤلاء قد نزلوا حيث ترىٰ ، وقد سألتُ الله تعالىٰ فقلت: اللهم أُقسِمُ عليك أن نلقىٰ العدو غداً فيقتلونني ، ويبقرونني ، ويمثّلون بي ، فألقاك مقتولاً قد صُنع هذا بي ، فتقول: فيَّ صُنع هذا بك؟ فأقول: فيك ، وأنا أسألك أخرىٰ يا رسول الله: أن تلي تركتي من بعدي ، فقال: «نعم» ، فخرج حتىٰ قُتل ومُثّل به ، ودفنه الرسول صلوات الله عليه مع عمه حمزة رضي الله عنه في قبرٍ واحد[1].

نعم يا رسول الله:

هكذا كان حال الصحابة الأماجد ، وكأنهم أُخذوا بكلماتك العذبة وبيانك الرائع ، إلىٰ درجة أن الواحد منهم لم يعد يستطيع أن يقول أمامك: لا!.

وكل هذا لأنهم علموا مقامك العالي ، وأحبّوك حبّاً لا مثيل له ، فضحّوا بالغالي والنفيس في سبيل إرضاء الله ورسوله ، فسلام الله عليك يا روح الوجود يا حبيب الله:

يعاودني الحنين بيوم عيدِ ... وتهمسُ قائلاً: هل من مزيدِ؟
أغار عليك من حبٍّ جديدِ ... ولو خُلقت قلوبٌ من حديدِ
لما حملت كما حمل العذابا

سألتُ الحِبّ هل يدري بحالي ... وما ألقاه في زمن الوصالِ؟
ستعرف من سيشقىٰ بالسؤال ... ولا يُنبيك عن خُلق الليالي
كمن فَقَدَ الأحبّة والصحابا

* * *

(١) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٥٣، تاريخ الطبري: ٣/ ١٢٧٨، أسد الغابة: ٣/ ١٣١.